

روح المعاني

إني أشتكى صدري فقال E : إقرأ القرآن يقول اﷻ تعالى شفاء لما في الصدور وأخرج البيهقي في الشعب عن وائلة بن الأسقع أن رجلا شكى إلى النبي صلى اﷻ عليه وسلّم وجع حلقه فقال : عليك بقراءة القرآن وأنت تعلم أن الإستدلال بها على ذلك مما لا يكاد يسلم والخبر الثاني لا يدل عليه إذ ليس فيه أكثر من أمره صلى اﷻ تعالى عليه وسلم الشاكي بقراءة القرآن إرشادا له إلى ما ينفعه ويزول به وجعه ونحن لا ننكر أن لقراءة القرآن بركة قد يذهب اﷻ تعالى بسببها الأمراض والأوجاع وإنما نكر الإستدلال بالآية على ذلك والخبر الأول وإن كان طاهرا في المقصود لكن ينبغي تأويله كأن يقال : لعله صلى اﷻ تعالى عليه وسلم إطلع على أن في صدر الرجل مرضا معنويا قلبيا قد صار سببا للمرض الحسي البدني فأمره E بقراءة القرآن ليزول عنه الأول فيزول الثاني ولا يستعبد كون بعض الأمراض القلبية قد يكون سببا لبعض الأمراض القلبية فإننا نرى أن نحو الحسد والحقد قد يكون سببا لذلك ومن كلامهم اﷻ تعالى در الحسدا أعدله بدأ بصاحبه فقتله : وهذا أولى من إخراج الكلام مخرج الأسلوب الحكيم .

والحسن البصري ينكر كون القرآن شفاء للأمراض فقد أخرج أبو الشيخ عنه أنه قال : إن اﷻ تعالى جعل القرآن شفاء لما في الصدور ولم يجعله شفاء لأمراضكم والحق ما ذكرنا قل تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول اﷻ صلى اﷻ تعالى عليه وسلم ليأمر الناس بأن يغتنموا ما في القرآن العظيم من الفضل والرحمة أي قل لهم بفضل اﷻ وبرحمته متعلق بمحذوف وأصل الكلام ليفرحوا بفضل اﷻ تعالى وبرحمته ثم قدم الجار والمجرور على الفعل لإفادة إختصاصه بالمجرور ثم أدخل عليه الفاء لإفادة معنى السببية فصار بفضل اﷻ وبرحمته فليفرحوا ثم جيء بقوله سبحانه : فبذلك فليفرحوا للتأكيد والتقرير ثم حذف الفعل الأول لدلالة الثاني علي والفاء الأولى قيل جزائية والثانية زائدة للتأكيد والأصل إن فرحوا بشيء فبذلك فليفرحوا لا بشيء آخر ثم زيدت الفاء لما ذكر ثم حذف الشرط وقيل : إن الأولى هي الزائدة لأن جواب الشرط في الحقيقة فليفرحوا وبذلك مقدم من تأخير لما أشير إليه وزيدت فيه الفاء للتحسين ولذلك جوز أن يكون بدلا من قوله سبحانه : بفضل اﷻ وبرحمته وحينئذ لا يحتاج إلى القول بحذف متعلقه ونظير ذلك في الإختلاف في تعيين الزائد فيه قول النمر بن تولب : لا تجزعي إن منفسا أهلكته فإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي ومن غريب العربية ما أشار إليه بعضهم أن الآية من باب الإشتغال وقد أقيم اسم الإشارة مقام ضمير المعمول وتوحيده بإعتبار ما ذكر ونحوه كما هو شائع فيه ووجه غرابته أن المعروف في شرط الباب إشتغال العام بضمير المعمول ولم يذكر

أحد من النحاة إشتغاله بإسم الإشارة إليه وجوز أن يقدر متعلق الجار والمجرور فليعتنوا أي بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا والقرينة على تقدير ذلك أن ما يفرح به يكون مما يعتني ويهتم بشأنه أو تقديم الجار والمجرور على ما قيل وقال الحلبي : الدلالة عليه من السياق واضحة وليس شرط الدلالة أن تكون لفظية فقول أبي حيان : إن ذلك إضمار لا دليل عليه مما لا وجه له وأن يقدر جاء تكم بعد قل مدلولاً عليه بما قبل أي قل جاء تكم موعظة وشفاء وهدي ورحمة بفضل الله وبرحمته ولا يجوز تعلقه بجاء تكم المذكور لأن قل تمنع من ذلك وذلك على إشارة إلى المصدر المفهوم من